في انتخابات رئاسة البلدية ويعود الفضل في نجاحه للاصوات اليهودية . ويلاحظ بوراث ان بعض الوجهاء العرب كان لهم مواقف مزدوجة من الحركة الصهيونية ، فقد كانوا مستعدين لبيع اراضيهم وقبول القروض والرشاوى في حين انهم ، من الناحية الاخرى ، طلبوا من الحكومة ان تفرض حظرا على بيع الاراضي وكانوا يعارضون الهجرة اليهودية . ويعتمد بوراث اعتمادا استثنائيا على الادلة الصهيونية وأحيانا يوجه اتهامات بعيدة الاثر ( مثل رشوة موسى كاظم الحسيني ) ، من الصعب القبول بها دون ادلة مؤيدة بالشواهد .

ومعالجة الكاتب الموجزة لانتفاضة عام ١٩٢٩ غير مرضية نوعا ما . فان بوراث يتجاهل تجاهلا تاما الاهمية الاسلامية الخاصة للبراق والاستفزازات الصهيونية التي كانت السبب المباشر للثورة ( تظاهرات جماعة « بيطار » الصهيونية ) . كما انه لا يضع الثورة في نطاقها الاوسع ، وهو زيادة الهجرة الصهيونية وتجريد الفلاحين من اراضيهم وطردهم منها ( حتى انه لا يأتي على ذكر حوادث شهيرة مثل وادي الحوارث ) . ومع هذا فهو يعتبر ، بحق ، انها اسهمت في صعود المفتي وتجسمت — بقدر ما يتعلق الامر بجماهير الفلاحين — في تهديد الحرم الشريف ، والتهديد الصهيوني كله لعرب فلسطين .

ان ما يفتقر اليه الكتاب عامة هو اطار نظري وتفحص للايديولوجيا الوطنية التي تقدمت بها القيادة السياسية التقليدية في محاولاتها للتعاون مع الامبريالية البريطانية في وجه الخطر الصهيوني الذي يهدد البلاد . والشيء المفقود هو دراسة للخلفية الاجتماعية والاقتصادية لنشوء هذه الايديولوجية والطبقة التي عبرت عنها ، ولتأثير الهجرة الصهيونية على البنية الطبقية المتغيرة للمجتمع الفلسطيني ، ولتجريد الفلاحين من اراضيهم ، ولتأثير الشعارات الصهيونية المتصلة بغزو الارض وكسب العمال ، وللتنافس الذي قدمته الصناعة اليهودية للطبقة البورجوازية الفلسطينية الفتية التي شوه نموها كله تدفق رؤوس الاموال اليهودية . ان غياب اي تفحص كهذا للبنية الاقتصادية والزراعية في الاعوام العشرة الاولى من الانتداب ، ولنمو قيادة بديلة في الجناح اليساري من حزب الاستقلال المتمثل بحمدي الحسيني وجماعته التي كانت تعارض كلا من القيادة التقليدية للحركة الوطنية وآل النشاشيبي ، والتي سعت الى التعاون مع الحزب الشيوعي الفلسطيني الفتي ، لا يسمح لنا بالتوصل الى اي استنتاج حول الاعوام العشرة الاولى من الصراع السياسي الذي خاضه الفلسطينيون تحت الانتداب ارتكازا الى هذا الكتاب .

لا بد من كلمة اخيرة حول الموقف السياسي للمؤلف نفسه ، اذ انه في الصفحات القليلة الاخيرة يكرر الاسطورة الصهيونية (والاستعمارية) التقليدية بأن الصهيونية حملت عددا من المنافع لعدد من قطاعات السكان العرب ، تشمل ملاكي الاراضي والوجهاء ، والطبقات الدنيا . والمواد المقدمة في كتابه هذا لا تقيم الدليل على هذه الاسطورة بحال من الاحوال ، فضلا عن انها تفسد عملا جديدا يستند الى ابحاث مستفيضة ، يدحض الكثير من الاساطير الصهيونية ( فان بحثه لمحاولات العرب التمييز بين الصهيونيين والجالية اليهودية التي كانت تقيم في فلسطين في أوائل العشرينات هو بحث ممتع ، ويستنتج ان اللاسامية كانت غريبة عن الحركة الوطنية الفلسطينية ، علما بأنها لم تمتنع عن التأثر بها بين أمور أخرى استوردتها من الغرب ، ويأتي على ذكر أمثلة عن التعاون بين الحركة العربية واليهود المناهضين للصهيونية : ففي عام١٩١٩ كان هناك وفد يهودي في المؤتمر السوري العام ، وفي عام ١٩٢٠ وقعت جماعة من اليهود السيفارديين في فلسطين على عريضة مناهضة للصهيونية نظمها العرب ، وفي عام ١٩٢٣ دعت جماعة من اليهود السيفارديين الى اجتماع في كنيس وهاجمت الصهيونية وحكم الاشكينازيين ).

بعد حرب ١٩٧٣ بشهرين ، ألقى بوراث محاضرة حول « الدولة الفلسطينية » على «رابطة المهاجرين اليهود من الولايات المتحدة وكندا » ، رفض فيها رفضا تاما حقوق الفلسطينيين في تقرير المصير الوطني ، حتى في الضفة الغربية ، على اساس ان حسين هو جار افضل لاسرائيل ، ورفض البحث في الظلم الذي سببه تأسيس دولة اسرائيل بقوله ما معناه : « علي ان اهتم بنفسي اولا » . وهكذا ، فمع ان بوراث لا يطرح سؤال غولدا مئير « من هم الفلسطينيون ؟ » ، بل على العكس يدعم بالوثائق وجود حركتهم الوطنية ، ومعارضتهم للصهيونية حتى